فصل

من أشد الناس غلوا واسرافاً طائفة من المتكلمين كفروا عوام المسلمين وزعموا ان من لا يعرف الكلام معرفتنا ولم يعرف العقائد الشرعية بادلتنا التي حررناها فهو كافر فهؤلاء ضيقوا رحمة الله الواسعة على عباده أولا وجعلوا الجنة وقفاً على شرذمة يسيرة من المتكلمين ثم جهلوا ماتواتر من السنة ثانياً اذ ظهر لهم فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة رضي الله عنهم حكمهم باسلام طوائف من اجلاف العرب كانوا مشغولين بعبادة الوثن ولم يشتغلوا بعلم الدليل ولو اشتغلوا به لم يفهموه ومن ظن ان مدرك الايمان الكلام والادلة المجردة والتقسيمات المرتبة فقد أبدع حدّا لابداع بل الايمان نور يقذفه الله في قلوب عبيده عطية وهدية من عنده تارة بينة من الباطن لا يمكنه التعبير عنها وتارة بسبب رؤيا فى المنام وتارة بمشاهدة حال رجل متدين وسراية نوره اليه عند صحبته ومجالسته وتارة بقرينة حال فقد جاء اعرابى الى النبي صلى الله عليه وسلم جاحداً به منكراً فلما وقع بصره على طلعته البهية زادها الله شرفا وكرامة فرآها يتلألأ منها أنوار النبوة قال والله ماهذا بوجه كذاب وسأله ان يعرض عليه الاسلام فأسلم وجاء آخر اليه عليه الصلاة والسلام وقال أنشدك الله آلله بعثك نبياً فقال عليه الصلاة والسلام اى والله الله بعثني نبياً فصدقه بيمينه وأسلم وهذا وامثاله أكثر من ان يحصى ولم يشتغل واحد منهم بالكلام وتعليم الادلة بل كان يبدو نور الايمان بمثل هذه القرائن فى قلوبهم لمعة بيضاء ثم لا تزال تزداد اشراقا بمشاهدة تلك الاحوال العظيمة وتلاوة القرآن وتصفية القلوب فليت شعرى متى نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة رضى الله عنهم احضار اعرابى اسلم وقوله له الدليل على ان العالم حادث انه لا يخلو عن الاعراض وما لا يخلو عن الحوادث حادث وان الله تعالى عالم بعلم وقادر بقدرة زائدة عن الذات لا هى هو ولا هي غيره الى غير ذلك من رسوم المتكلمين ولست أقول لم تجر هذه الالفاظ ولم يجر أيضاً ما معناه معنى هذه الالفاظ بل كان لا تنكشف ملحمة الا عن جماعة من الاجلاف يسلمون تحت ظلال السيوف وجماعة

من الاسارى يسلمون واحداً واحداً بعد طول الزمان أو على القرب وكانوا اذا نطقوا بكلمة الشهادة علموا الصلاة والزكاة وردوا الى صناعتهم من رعاية الغنم وغيرها . نعم لست أنكر أنه يجوز ان يكون ذكر أدلة المتكلمين أحد أسباب الايمان فى حق بعض الناس ولكن ليس ذلك بمقصور عليه وهو أيضا نادر بل الانفع الكلام الجارى فى معرض الوعظ كما يشتمل عليه القرآن . فاما الكلام المحرر على رسم المتكلمين فانه يشعر نفوس المستمعين بان فيه صنعة جدل ليعجز عنه العامى لا لكونه حقا فى نفسه وربما يكون ذلك سببا لرسوخ العناد في قلبه ولذلك لا ترى مجلس مناظرة للمتكلمين ولا للفقهاء ينكشف عن واحد انتقل من الاعتزال أو بدعة الى غيره ولا عن مذهب الشافعي الى مذهب أبي حنيفة ولا على العكس وتجري هذه الانتقالات بأسباب أخر حتى فى القتال بالسيف ولذلك لم تجر عادة السلف بالدعوة بهذه المجادلات بل شددوا القول على من يخوض فى الكلام ويشتغل بالبحث والسؤال واذا تركنا المداهنة ومراقبة الجانب صرحنا بان الخوض فى الكلام حرام لكثرة الآفة فيه الا لاحد شخصين رجل وقعت له شبهة ليست تزول عن قلبه بكلام قريب وعظى ولا بخبر نقلى عن رسول فيجوز ان يكون القول المرتب الكلامى رافعا شبهته ودواء له فى مرضه فيستعمل معه ذلك ويحرس عنه سمع الصحيح الذي ليس به ذلك المرض فانه يوشك أن يحرك فى نفسه اشكالا ويثير له شبهة تمرضه وتستنزله عن اعتقاده المجزوم الصحيح

والثانى شخص كامل العقل راسخ القدم في الدين ثابت الايمان بأنوار اليقين يريد أن يحصل هذه الصنعة ليداوى بها مريضاً اذا وقعت له شبهة وليفحم بها مبتدعا اذا نبغ وليحرس به معتقده اذا قصد مبتدع اغواءه فتعلم ذلك بهذا العزم كان من فروض الكفايات وتعلم قدر ما يزيل به الشك ويدرأ الشبهة فى حق المشكل فرض عين اذا لم يمكن اعادة اعتقاده المجزوم بطريق آخر سواه . والحق الصريح ان كل من اعتقد ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام واشتمل عليه القرآن اعتقادا جزماً فهو مؤمن وان لم يعرف أدلته بل الايمان المستفاد من الدليل الكلامى ضعيف جدا مشرف

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)